الدافعية

حالة توتر أو نقص داخلي تستثار بفعل عوامل داخلية (كالحاجات والميول والاهتمامات) بحيث يعمل على توليد السلوك وتقوم بتوجيه هذا السلوك وتحافظ على ديمومته واستمراره حتى يتم حفظ الدافع، فالدافعية تسهم في عملية التعلم من حيث:

١ . توليد السلوك للتعلم.

٢ . توجيه السلوك نحو مصدر التعلم.

٣. استخدام الإجراءات والوسائل المناسبة لتحقيق التعلم.

٤. الحفاظ على ديمومة واستمرارية السلوك حتى يحدث التعلم.

التدريب والخبرة

هو عدد المحاولات والزمن الذي يستخدمه الفرد في تعلم مهمة ما وهي تتوقف على طبيعة البيئة التي يعيش فيها الفرد التي تغنيه بالخبرات والمهارات وكذلك على طبيعة التفاعل الذي يحدث مع البيئة من حيث التسامح والتقبل والدعم.

ويعتبر عامل التدريب من أهم وأكثر العوامل أهمية في عملية التعلم إذ أنه يسهم في إثارة الاستعداد الدافعية لدى الأفراد نحو التعلم.

التعلم واكتساب اللغة

عدت نظرية اكتساب اللغة وتعلُّمها، من أهم الإشكالات التي عرَفتْها الساحة العلميَّة اللغوية والاجتماعية؛ فقد توسع نطاق اهتمامات علوم اللغة الحديثة، ولم يعد الأمر مقتصرًا على الجوانب النظرية والتحليلية – كما كان في السابق – بل تعدَّاه إلى ظهور علوم تطبيقيَّة تعتمد الملاحظة والتجارب والتطبيقات الفعَّالة في الواقع المحسوس الملموس، ومن بين هذه الاهتمامات التي شملتها العلوم اللغوية: دراسة نمو الطفل اللغوي، ودراسة مشاكل النطق والتخاطب ومهارات الاتصال اللغوي، وكل الموضوعات التي تربط اللغة بالمجتمع.

وسنتطرق إلى بعض النظريات التي تفسِّر اكتساب اللغة وتعلُّمها؛ وهي:

- النظرية السلوكية.
- النظرية الفطرية البيولوجية.
- النظرية البنائية.
- النظرية التفاعلية.
- النظرية البيئية.

فما المقصود بنظرية اكتساب اللغة؟

اكتساب اللغة Acuisition language: هي عملية علميَّة يستطيع الفرد من خلالها امتلاك قدرة خاصَّة على استقبال واستيعاب اللغة الأم الأولى لدى الأطفال، أو اكتساب اللغة الثانية والتعاطي معها.

أقسامها:

١- اكتساب اللغة غير اللفظية: تتمثَّل في أولى صرخات الطفل المولود، والتي تشهد تطوُّرًا سريعًا لتصبح وسيلةً للتواصل بين الطفل والآخر (الأم)، وتساعده على التعبير عن حاجاته الأساسية من أكل وشرب، ورغبة في النوم، والشعور بالألم ...

٢- اكتساب اللغة اللفظية: تتطوَّر المرحلة الأولى عند الطفل في الحالات العادية عند بلوغه خمسة عشر شهرًا (حتى عام ونصف)؛ لينطق بعض الألفاظ العشوائية.

ولقد حاول علماء النفس واللغة صياغة مجموعة من الفروض والنظريات المختلفة حول موضوع كيفية اكتساب اللغة، وتتراوح هذه الفرضيات بين أسباب بيولوجية وأخرى سلوكية، كلية، بيئية ...

أولًا: النظرية السلوكيَّة:

من أهم أعلامها "واطسون" و"سكينر" و"بوهانون"، ظهرت هذه الأخيرة في منتصف القرن العشرين ثورةً على علم النفس التقليدي، وتنطلق من فرضية أساس، مُفادها: أن السلوك اللغوي هو سلوك مكتسَب بالدرجة الأولى، فاللغة عند الطفل في مراحله الأولى تُكتسَب من خلال المحيط والبيئة، وهي عبارة عن مجموعة من الصور التي تؤخذ من تقليد الكبار (imitation)، أو عن طريق التكرار repetition.

ثانيًا: النظرية الفطرية، أو النظرية البيولوجية Biologic Theory:

ويطلق عليها في العالم العربي تسميات متعددة؛ كنظرية تحليل المعلومات، النظرية العقلية النفسية، النظرية التوليديَّة التحويلية، وكل هذه المسميات تدور فيما أسماها تشومسكي القدرة اللغوية ،وهي: تلك القدرة والفطرة التي منحها الله سبحانه للإنسان فاستطاع بها توليد عدد غير محصور من العبارات والتراكيب اللغوية.

فحسب هذه النظرية: فإن الأفراد يُولَدون وهم يمتلكون آليات لاكتساب اللغة وتعلُّمها، وذلك عبر اشتقاقهم لأبنية وقواعد مختلفة منذ الصغر، فاللغة هنا مجموعة من الأنظمة النحوية الصرفية، الصوتية والدلالية، تعتمد التواصل والاتصال، فالأطفال يستطيعون التفوُّه بجُمل جديدة يعتبرها الكبار سليمة الصياغة well formed دون أن يسمعوا بها قبل ذلك، ويفسر تشومسكي ذلك بقوله: إن الإنسان يولد بملكة فطريَّة ذات استعداد لاكتساب وتطوير اللغة، فالطفل بمجرد تلقِّيه للغة فهو يستعمل مبادئها وقواعدها بشكل تلقائي، وهذا ما يخوِّل له التوصُّل إلى الكفاية اللغوية (المعرفة بتنظيم قاعدي بالغ التعقيد يؤهله لتعلم اللغة) في مدة زمنية قصيرة نسبيًّا.

إن مهارة اكتساب اللغة الأساسية في النظرية الفطرية عند الأطفال، وفي مختلف اللغات، هي مهارة واحدة رغم اختلاف الأجناس: (فيسيولوجيًّا، بيولوجيًّا)؛ فجميع الأشخاص يتمتَّعون بخصائص بيولوجية واحدة، تتغير مع مرور الزمان.

ثالثًا: النظريةَ الجشطالتية:

ظهرت في العقد الثاني من القرن العشرين في ألمانيا، ونظرت لها بحوث فرتيمر ١٩١٢م، وأعمال كوفكا وكوهلر.

والكشتالت كلمة ذات أصل ألماني، ترجمت بالحرف الواحد، ولا مرادفَ لها في أغلب لغات العالم؛ تعني: الكل، أو الجسم الكلي، وثارت على الثنائية الديكارتية التي تقسم العقل إلى جزيئات أولية من الأحاسيس والصور، وتمرَّدت كذلك على الفرويدية أو علم النفس التحليلي، وعلى المدرسة السلوكيَّة.

وترى هذه النظريةُ أن اللغة تُتعلَّم بشكل كلي، وليس بمجموع أجزاء، فالطفل يجب أن يتعلم الكلمات والجمل، ثم الحروف ثانيًا، وليس العكس كما هو شائع.

إن هذه النظرية تتمحور حول مبدأ: "الكل يسبق الجزء"، فالضرورة تحتم على الموضوع في جملته، وبعد ذلك عرض الأجزاء تلو الأجزاء.

مفاهيم النظريةَ

الاستبصار: كلُّ ما يؤدي إلى اكتساب الفهم في كل الأبعاد ومعرفة الترابطات بين الأجزاء وضبطها.

الدافعيةَ الأصليةَ: تعزيز التعلم لا يكون مصدره خارجيًّا، بل هو نابع من الداخل.

الفهم والمعنى: يتحقق التعلم عند تحقق الفهم، الذي هو كشف جميع العلاقات المترابطة بالموضوع، والانتقال من الغموض نحو الوضوح.

مبادئ نظريةَ الكشتالت

- الاستبصار شرطٌ للتعلُّم الحقيقي.
- التعلُّم يقترن بالنتائج.

• التعزيز الخارجي عاملٌ سلبي في التعلُّم.

• الحفظ والتطبيق الآلي للمعارف تعلُّم خاطئ.

رابعًا: النظريةُ البنائيّةُ:

جاءت بعض النظريات الحديثة، وعلى رأسها البنائية؛ لدحض مجموعة من المفاهيم التي شاعت في مختلف المجموعات، ويتعلَّق الأمر بطريقة تعلُّم اللغات واكتسابها، فالتعلم الحقيقي لا يتم بناء على ما سمعه المتعلم وكرَّره، بل إن المعلومات تبنى داخليًّا، وذلك بمساعدة البيئة والمحيط والمجتمع واللغة.

إن جذور النظرية البنائيَّة – حسب بعض الدراسات – تعود إلى عصور قديمة جدًّا، فقد تبناها كل من أفلاطون وأرسطو (٣٢٠ – ٤٧٠ ق.م).

• يعرِّف المعجم الدولي للتربية " البنائية" Contructivism، بأنها: "رؤية في نظرية التعلم ونمو الطفل، قوامها أن الطفل يكون نشطًا في بناء أنماط التفكير لديه؛ نتيجة تفاعل قدراته الفطرية مع الخبرة"، ويعرفها كلاسرفيلدGlasserrfled، بكونها: نظرية معرفية تركز على دور المتعلِّم في البناء الشخصي المعرفي.

إن تبلور هذه النظرية في عصرنا الحديث – رغم قدم نشأتها – كان على يد منظرين كبار كبياجيهPiaget، وأوزبلAusubel، وغيرهم.

اعتبر بياجيه واضع أسس البنائية، ويفترض أن المعارف عبارة عن أبنية عقلية منظمة داخليًّا، تمثل قواعد للتعامل مع المعلومات والأحداث، ويتم عن طريقها تنظيم الأحداث بصورة إيجابية، والنمو المعرفي، بالاعتماد على الخبرة.

مفاهيم النظريةِ البنائيةِ عند "بياجيه":

التكيف: قدرة الإنسان على التكيف مع خبرةٍ ما، والتلاؤم معها، ويضم هذا المفهوم عنصرين، هما: التمثيل، والمواءمة.

التمثيل: هو العنصر الأول للتكيف، بمعنى: تلاؤم المثيرات الخارجية مع التراكيب العقلية الداخلية للفرد.

المواءمة: التضمين، وهو العنصر الثاني لعملية التكيف، وعكس التمثيل، فالفرد في هذه الحالة يغير نفسه لتتكيف مع العالم الخارجي.

التوازن: التفاعل بين الفرد والبيئة.

التنظيم: اتجاه فطري يقوم بربط الصور بشكل أكثر كفاءة.

إذًا التعلم واكتساب اللغة حسب هذه النظرية، بناء وإبداع مستمر.

خامسًا: النظريةَ التفاعليةَ Intractive Theory:

تحاول هذه النظرية الدمج بين مجموعة من النظريات، فالعواملُ التي تؤثِّر في قدرة الطفل على اكتساب اللغة ليست واحدةً، بل إن كلًّا من العوامل الثقافية، الاجتماعية، البيولوجية، والمعرفية، تتشكل في قالب واحد، وتشكل اللغة الأولى عند الأطفال.

ويُمْكِنُنا تسمية هذه النظرية بـ"التوفيقية"؛ لمحاولتها الجمع بين السلوكية والفطرية، فهي تعتمد على عناصر داخلية وأخرى خارجية، وتتفاعل فيما بينها.

سادسًا: النظريةَ البيئيةَ:

تكون نشأة اللغة وتطورها ضمن المحيط البيئي والاجتماعي الذي تعيش فيه، وبعد تفاعل هذه العوامل الخارجية يحصل السلوك اللغوي الذي يؤدي بالضرورة إلى تعلُّم اللغة واكتسابها، ومن أبرز مؤيدي هذا الموقف "السلوكيون".

وإن اكتسابَ اللغة نوعٌ من أنواع التعلُّم، لا يختلفُ عنها في شيء؛ وذلك لأنها تخضع لقواعد ومبادئ التعلم؛ كالمحاكاة، الثواب، العقاب، التعزيز ...